

## الاتصال العاطفي

د. شفيق مصالح

محاضر بكلية دافيد يلين للتربية

التساؤلات التي تشغل بال كل ام وأب تتمحور حول إيجاد السبل لتنمية طفل يتمتع بشخصية سليمة متأقلمة ومنتجة في المجتمع . ربما أكثر المهام تعقيدا في الحياة هي اتقان دور المربي وبالذات الأبوه والامومه . مهما بلغت الادوار الاخرى في حياتنا تعقيدا فلن تصل في أهميتها وتعقيدها دور المربي والوالد . من ناحية أهمية هذا الدور فواضح أن تربية أطفال أصحاء في نفسيتهم تشكل أكبر ضمان لسعادة الأهل والعائلة على المدى القصير والطويل وواضح أيضا أن نجاح المجتمع يعتمد على نجاعة إداء أبنائه . ومن ناحية التعقيد فكل مهنة في حياتنا يمكن اتقانها اذا كانت لدينا الميول المناسبة وإذا درسناها بعمق ورغبة . هناك مهن تحتاج لوقت دراسة وممارسة أكثر من مهن أخرى لكن بذل الجهود سيؤدي في نهاية الأمر الى الوصول الى الهدف . بالمقابل مهنة الامومه والابوه لا تدرس كمهنة ولا يوجد هناك أي منهاج تعليمي او مهني يحقق لنا إكتساب مهاراتها المعقدة . في ظل هذا الواقع الذي نخضع له جميعا نميل الى استعمال مهارات عديدة انتقلت لنا عن أهلنا والتي انتقلت من جيل الى جيل عبر آلاف السنين . إكتساب المهارات المتعلقة بالابوه والامومه عن أهلنا تم بحكم تجربتنا نحن كأطفال في ظل تربيتهم في العائلة وكذلك من خلال التعليمات والاستشارة التي نعود بها إليهم وخاصة حين ولادة أول طفل في العائلة حيث تستشير الأم أمها ، واخواتها وصديقاتها بأمور تتعلق بداية بعمل حاجيات الطفل الأساسية مثل الأكل والحمام ومعالجة الأوجاع وكذلك بأمور لها علاقة بالتعامل مع الطفل إزاء سلوكياته المختلفة . مصدر آخر للمعرفة هو القراءة من الكتب والمجلات والتي تعتمد في كتاباتها على التجربة وعلى الأبحاث ومصادر المعلومات المختلفة التي تستمد منها معرفتنا لانماء طفل سليم لا تزال غير كافية بحيث من المؤلف أن يجد الام والاب نفسيهما واقفين امام العديد من المواقف الجارية يوميا مترددين حول الأسلوب المناسب للتعامل معها .

التعقيد الحاصل " بمهنة " الابوة والامومه هو ناتج من الحياة المتغيرة التي تجعل منهج التربية متغيراً وليس ثابتاً . إن الآباء والامهات ، وبحق ، لا يستطيعون الاعتماد بشكل كلي على الطرق التربوية التي تلقوها من أهاليهم . هذا الأمر يزيد الحيرة وأحيانا التخبط لدى المربين ابتداءً بالأهل في البيت واستمراراً بالمعلمين في المدرسة . كافة المربون يؤمنون بأن أساليب التربية التقليدية لم تعد ملائمة من جهة ويفتقرون الى أساليب تربوية بديلة يعملون بها بثقة وطمأنينة من جهة أخرى . فنحن بين بين مثل الحجل والغراب . قد يكون من المفاجئ القول أن أحد الاسس المهمة التي تحدد الصحة النفسية للاطفال هي طبيعة العلاقة بين الطفل وامه (أو من يقوم بدورها) في أول سنوات حياته ، وأن المميز الفاصل والمهم في هذه العلاقة هو الاتصال العاطفي بين الام والطفل . قد يكون الاتصال العاطفي من العوامل الثابتة التي لم تتغير مساهمتها في تكوين نفسية الطفل عبر العصور ، ولن تغير أهميتها التجديدات التكنولوجية الحاصلة

العلاقة هو الاتصال العاطفي بين الام والطفل . قد يكون الاتصال العاطفي من العوامل الثابتة التي لم تتغير مساهمتها في تكوين نفسية الطفل عبر العصور ، ولن تغير أهميتها التجديدات التكنولوجية الحاصلة في حياتنا . الحقيقة أن التغييرات المتجددة والتي يقودها المجتمع الغربي وتبعها سائر المجتمعات ونحن بينهم ، تبرز وتؤكد أهمية الاتصال العاطفي بين الطفل والديه . نسبة الأطفال التي تنفصل عن ذويها في سن مبكرة يزداد بحكم تفكك العائلة المتزايد والذي وصلت نسبته في المجتمع الغربي الى طلاق من كل زوجين وحتى أكثر . بالإضافة إلى انشغال الام والاب ساعات طويلة خارج البيت وعدم اهتمامهم بالطفل جسميا وعاطفيا . الابحاث والدراسات في العقدين الاخيرين تشير إلى الخطر المتزايد على نفسية الأطفال جراء البعد العاطفي بين الأطفال وأهلهم . .

## طبيعة الاتصال العاطفي / لمحة تاريخية - Nature of emotional attachment: A Historical view

أكدت النظريات المختلفة في علم النفس على أهمية السنوات الأولى في حياة الطفل على بناء شخصيته وتحديد مجرى حياته النفسية . وفي أواسط القرن العشرين ركز عدة منظرين على أهمية العلاقة بين الام والطفل والاثر الحاسم لهذه العلاقة على الصحة النفسية للطفل . من بين هؤلاء Winnicott ، Mahler و Bowloy . تميز جون بولبي عن غيره بالتركيز على الاتصال العاطفي بين الام والطفل معتبرا أن هذه العلاقة في خمس السنوات الأولى لحياة الطفل هي أساس صحته النفسية . بداية الدافع للاتصال العاطفي هو غريزي ، يحتاجه الطفل من أجل البقاء وتوفره الام للطفل بشكل تلقائي من دافع غريزة الامومة . مما يؤكد وجود هذه الظاهرة كغريزة هو إستمراريتها عبر عصور طويلة ومسؤوليتها عن استمرار الحياة البشرية . دليل آخر على وجود غريزة الاتصال العاطفي هو كونها تميز الكائنات الحية الأخرى وبالذات فصيلة الثدييات القريبة من الانسان في تكوينها . يحتاج الطفل للاتصال العاطفي ويطلبه منذ اللحظة الأولى بعد الولادة . يستخدم الطفل وسيلتين أساسيتين في الأشهر الأولى لحياته من أجل الحصول على الاتصال العاطفي وهما البكاء والابتسام . حين يبكي الطفل يعبر عن الضائقة الجسدية أو النفسية التي يشعر بها مما يحث الأم على أخذ الطفل بحضنها أو يتسم فيحرك بداخل الام أو الأب الرغبة بالتقاطه قريبا لجسمه . ومع نمو الطفل تتغير الاستراتيجيات والطرق التي من خلالها يدعو أهله لاحتضانه وتزويده بالعاطفة . وسوف أفصل ذلك لاحقا .

بدأ جون بولبي (Bowloy) بحثه وكتاباته في أواسط القرن العشرين قبيل الحرب العالمية الثانية ولفت انتباهه بداية ردود فعل الأطفال لانفصالهم عن الام مشررا إلى ثلاث مراحل في رد الطفل . إحساسهم الأولي بالغضب والاحتجاج على ترك الام ثم الانسحاب بالخوف وحين عدم رجوعها يشعرون بالحزن والعزلة . السلوكيات التي ظهرت على الأطفال عند غياب الام فترة متواصلة كانت التراجع عن التعامل مع البيئة وفقدان المتعة في لعبهم وعدم تعبيرهم عن مشاعرهم ، والغضب والعنف في سلوكهم . ردود الفعل هذه لدى الأطفال تؤكد بالطبع أهمية ومعنى الاتصال العاطفي بالنسبة للطفل .

ردود الطفل النفسية عند هؤلاء الاطفال حين فراق أهلهم . وقد يعود تغيير هذا النظام في مستشفيات العالم ، بحيث تلازم الام طفلها بالمستشفى ، لاعمال بولبي الكثيرة في هذا المجال ، وتحذيره من العواقب النفسية على الاطفال في ظل الفراق وغياب الاهل المتواصل عن طفلهم .

بناء على طلب منظمة الصحة العالمية (WHO) بهيئة الامم المتحدة اجري بولبي بحث دولي شامل حول أوضاع الاطفال النفسية في المؤسسات بعد فقدان عائلاتهم . وكانت خلاصته واضحة بأن فقدان الاتصال العاطفي بالنسبة للطفل في جيل مبكر يشكل سبباً رئيساً للمشاكل النفسية والسلوكية الصعبة عند الاطفال وبالذات العنف والانحراف والادمان على المخدرات .

أثناء زيارة لها في لندن التقت الاخصائية النفسية في نمو الطفل ماري اينسويرث جون بولبي ومن يومها أصبحت أحد الباحثين الذين استطاعوا جعل النظرية خاضعة للبحث الدقيق . انسيويرث من أصل كندي ولكنها قامت بأبحاثها في جامعة فرجينيا في الولايات المتحدة، حيث كشفت عن طرق لتقييم العلاقة العاطفية بين الام والطفل في جيل سنة ونصف حتى ثلاث سنوات . ميزت اينسويرث بين نوعين من علاقة الام والطفل العلاقة الآمنة، مقابل العلاقة القلقة Secure Attachment Vs. Anxious Attachment . هذه البداية كانت فاتحة لأبحاث عديدة حاولت تحديد الآثار النفسية على الطفل في ظل العلاقة الآمنة مقابل الآثار عليه في ظل العلاقة القلقة مع الام . (سأفصل هذا الامر لاحقاً) .

الأبحاث في مجال الاتصال العاطفي عديدة ومستمرة . تلفت الانتباه الابحاث التي قام بها أخصائي في نمو الطفل بجامعة منيسوتا بالولايات المتحدة باسم الين سروف Alan Sroufe الذي تابع مئات الاطفال منذ ولادتهم ولمدة ما يزيد على عشرين عاما ليجد آثار الاتصال العاطفي المبكر لهؤلاء الاطفال على نمو شخصياتهم وعلى مسار حياتهم . أكد سروف في أبحاثه أن للاتصال العاطفي في السنوات الاولى لحياة الطفل أهمية بالغة على مسار حياته الاجتماعية والنفسية وأن المشاكل السلوكية عند الاطفال الذين افتقدوا الاتصال العاطفي الآمن في سنوات حياتهم الأولى تميزوا بالسلوك العدواني وغير المتأقلم مع زملائهم بالمدرسة الابتدائية ممتدا عبر المرحلة الاعدادية والثانوية .

يجدر الذكر أن هناك بحثاً كلاسيكياً آخر اثبتت نتائجه أهمية العلاقة بين الطفل وأهله في السنوات الأولى لحياة الطفل . أجرت البحث أنا فرويد (Anna Freud) ابنة العالم المشهور زيعموند فرويد وفريق من الباحثين. قارن هذا البحث الصحة النفسية للاطفال الذين بقوا مع عائلاتهم في لندن أثناء القصف الجوي للقوات الالمانية ابان الحرب العالمية الثانية والاطفال الذين فصلوا عن عائلاتهم ووضعوا بملاجئ في ضواحي لندن بعيدا عن القصف . استنتج الباحثون أن الاطفال الذين ظلوا مع أهلهم تحت القصف كانوا بوضع نفسي أفضل من الأطفال الذين فصلوا عن أهلهم وكانوا بعيدين عن خطر الموت . يؤكد هذا البحث بالطبع أهمية الامان الذي يستمده الطفل من وجوده بين أهله حتى ولو كان هناك خطر خارجي حقيقي يهدده .

كنت محظوظا بأن سنحت لي الفرصة في قضاء اسبوعين في صيف ١٩٩٩ لدراسة موضوع الاتصال العاطفي - برفقة الين سروف وزوجته جيون سروف في جامعة منيسوتا . تجربتي مع عائلة

سروف عززت اهتمامي في مجال الاتصال العاطفي وعمقت من رؤيتي لأبعاد وأهمية هذا الجانب بالذات من خلال عملي في العلاج النفسي .

الحقيقة أن أحد أهداف عملي مع سروف كان تعلم أداة جديدة لفحص الاتصال العاطفي طورتها باحثة أخرى في هذا المجال باسم ماري مين Mary Main من جامعة بيركلي كاليفورنيا . هذه الاداة تدعى Adult Attachment Inesrview (AAI) وتهدف تقييم نوعية الاتصال العاطفي الذي مر به الشخص البالغ في السنوات الاولى لحياته وذلك من خلال مقابلة تجرى معه ، تضم هذه المقابلة ١٥ سؤالاً تتعلق باستعادة الذكريات الاولى مع الام والاب والشخصيات المركزية الاخرى التي لعبت دوراً في طفولته تقييم طبيعة التجارب الاولى والأحاسيس التي رافقت هذه التجارب . كذلك يتم تقييم صورة الام والاب كما يتذكرها الشخص من طفولته .

فمثلاً يُسأل الشخص عن أهم خمس مميزات لعلاقته مع أمه وخمس مميزات لعلاقته مع أبيه . لا مجال لتفصيل دقائق هذا الفحص في هذا السياق لكن يجدر الذكر أنه يعد من الادوات المهمة المستعملة في الأبحاث في مجال الاتصال العاطفي .

## الاتصال العاطفي الآمن - Secure Attachment

الام البيولوجية هي عادة الشخصية الاولى التي تكون الارتباط مع الطفل . علاقة الام بالجنين أثناء أشهر الحمل و عملية الولادة ، والرضاعة تجعل الأم في مكانة مميزة تجعلها بشكل طبيعي أول من تبني مع الطفل علاقة عاطفية . غالباً ما يكون الاب الشخصية الثانية بعد الام في تكوين العلاقة العاطفية مع الطفل . هذا بالطبع الحال في العائلات العادية والتي تشكل الغالبية العظمى من الحالات التي ينمو فيها الأطفال . هناك حالات كثيرة ولأسباب مختلفة تنقطع العلاقة بين الام البيولوجية والطفل وتحل محلها أشخاص آخرون . وهناك حالات بالذات في المجتمعات المحافظة التي بها الجدة وأفراد من العائلة الممتدة يلعبون دوراً هاماً في العلاقة مع الطفل . في كل الحالات يعتمد نمو الطفل السليم على مدى توفر الأم أو من يحل محلها كشخص يوفر للطفل الطمأنينة والتهدة بشكل دائم ومتكرر (Repeated Comfort) ، ويوفر الامان والحماية للطفل بشكل ثابت (Complete protection) .

أفرق هنا بين الاحساس الداخلي بالحب إتجاه الطفل وبين طرق التعبير عن هذا الحب . أفضل طريقة لمعرفة إحساس الطفل الداخلي هي أن يسأل الوالد نفسه عن إحساسه هو إتجاه الطفل ، أغلب الظن أن الطفل يشعر كما نشعر نحن ، وإذا شعرت الام بالتهدة في داخلها حين تضع طفلها إلى صدرها يمكن التصور أن مثلها بالضبط يشعر الطفل في تلك اللحظة . وبالمقابل حين تشعر بتوتر وضغط فهو يشعر بالمثل . فعصلاتها المتوترة ومزاجها يتسرب إلى داخله . في وضع التوتر إمكانية نجاحها في توفير التهدة والطمأنينة له محدودة . بعض الباحثين افترضوا أن وضع الام والطفل ليس متوازياً بمعنى أن الام هي المسؤولة عن توفير الحب والامان والطفل هو المتلقي وليس المانح ، وهو صاحب الحاجة وليس عليه توفير الحاجة . رغم أن هذه الفرضية صحيحة بمعنى أن الطفل هو الضعيف والوالد هو القوي والمسؤول ،

إلا أنني اعتقد أن هناك إحساسا خفيا في داخل الوالد يشعره بالراحة والهدوء حين يضم طفله إلى صدره . .

هذا الاحساس إن وجد هو الضمان لتحرك الوالد السريع لضم الطفل في كل موقف يطلب الطفل ذلك بإشارة منه بالبكاء أو بالضحك . وفي هذا الوضع تصبح عملية الاتصال العاطفي بين الوالد والطفل عملية متبادلة تهدئ الطرفين حتى وإن منطقيًا تحمل مسؤوليتها الوالد .

هناك طرق مختلفة يعبر بها الام والاب عن حبهم اتجاه طفلهم ، من أكثر هذه الطرق فعالية في توفير الاحساس بالامان والطمأنينة عند الطفل هو الاتصال الجسمي - أي ضم الطفل للحضن وغالبا ما يلي هذا الحضن تقبيل الطفل . إرتباط الطفل العاطفي بالام لا ينبع من حاجته الى الحليب الذي توفره الام . أي حب الطفل للام غير متعلق بكونها من يطعمه بقدر ما هو متعلق بالحب والامان الذي يوفره حضنها له . هذا التوجه يعارض التوجه الذي ساد في مطلع القرن العشرين بإيحاء من نظرية فرويد التحليلية التي ركزت على الغرائز واشباعها كعامل مركزي في توجه الطفل ليثبتة Freud 1910/1957 وكذلك يعارض نظريات التعلم learning theories التي طرحت أن حب الطفل للام يتعلق بارتباط الام بعملية الطعام الايجابية . وجد بولبي دعما لتوجهه بان حاجة الطفل النفسية بحضن الام وليس بحليبها ، في أبحاث اجراها هارلو على علاقة امهات من القرود مع أطفالها .

(انظر (Harlow (1958), Harlow (1962)). شاهد هارلو في بحثه الكلاسيكي أن اطفال القرود ، فترة قصيرة بعد ولادتهم ، فضلوا أمهات من القرود مصنوعة من الفرو على أمهات مصنوعة من المعدن حين توفر الحليب عند كلا النوعين من الامهات . وحين وضع الحليب في حضن امهات المعدن فقط ، اسرعت اطفال القرود للام المعدنية ليشربوا الحليب بسرعة ثم عادوا ليقضوا أغلب وقتهم في حضن الأم ذات الفرو التي لم يكن لديها حليب .

التعبير عن الحب بواسطة الكلام واللعب والهدايا وارد بالطبع لكن في هذا الاسلوب مميزات يجب ان نتنبه اليها . قدرات الطفل الحسية والحركية محدودة ، في أول سنة من حياته فهو لا يتكلم ولا يفهم فحوى الكلام ، لكنه يستجيب لنغمة الصوت وقد يلمس ان في نغمة الصوت شيء من المداعبة والحب واللعب ويستجيب لذلك بالذات ابتداء من النصف الثاني لسنة حياته الاولى ، ثانيا من الصعب تصور استجابة الطفل للكلام واللعب بدون اتصال جسمي معه . من هذه المنطلقات يمكن اعتبار اللعب والكلام كاداة هامة للتعبير عن حبا للطفل لكن يسبقها بالأهمية الحضن والاتصال الجسمي الذي يشكل الطريق الاساسي لبناء العلاقة العاطفية الآمنة لدى الطفل .

الكثير من الاهالي وبالذات الآباء ، يعبرون عن حبهم للطفل بواسطة توفير حاجاته المادية ، مثل الأكل والشرب واللباس والمصروف والهدايا . وحين يُسألون إذ: ما كان الطفل يحصل على جميع حاجاته يؤكدون أن " لا ينقصه شيء نوفر له كل ما يطلبه وأكثر " هذه العبارات أسمعها كثيرا في عيادتي حين يطلبوا الأهل استشارة أو علاجا لأنهم أو ابنتهم . ويؤكدوا أحيانا أن طفلهم لا ينقصه شيء . حين تكون إحدى مشاكل الطفل التحصيل المدرسي يقول الاهل نوفر له كل حاجياته لكنه لا يعطينا بالمقابل . هذه العبارات تشير أولا الى أن الاهل لا يدركون حاجات طفلهم الحقيقية يضعون العلاقة في

مفهوم مادي مبني على مبدأ المقايضة ، نعطيهِ حاجاته المادية ونتوقع منه الحصول على علامات عالية في المدرسة . سألت أحيانا الام أو الاب عن آخر مرة بها ضمّ طفله وقبله أو نام الطفل في حضنه وداعب شعره وجسمه؟ وذاكرتهم لم تسعفهم لأن ذلك كان من زمن بعيد . صحيح أن ظروف الحياة وضعت الالهالي تحت ضغوطات كبيرة ومفاهيم الحياة أصبحت مادية على جميع المستويات وفي كافة العلاقات ، إلا انه من الضروري أن نبه أنفسنا لخطورة هذا الوضع ولآثاره السلبية على الصحة النفسية للأطفال وللعائلة .

يتكون الاتصال العاطفي الآمن عند الطفل من خلال التهذئة المتكررة التي توفرها الام المربية للطفل ، عندما تكون الام متواجدة للطفل حين يكون بضائقة وتشكل له مصدر الطمأنينة والأمان - تصبح صورة الام في داخل الطفل اداة للتهذئة يلجأ إليها في أي وقت يحتاج . الطفل موجود في ضائقة منذ اليوم الأول لولادته ويعبر عن هذه الضائقة في البكاء . المسببات للبكاء كثيرة وغالبا ما تنبع عن عدم توازن فيزيولوجي داخلي نابع عن الجوع أو الألم أو نابع عن مثيرات خارجية مثل إزعاج أو أي اثاره أخرى . الام تشكل اداة للتهذئة من خلال تواجدها وتوفير حضنها او لاثم تزويد الطفل بالحاجة التي تعتقد أنها مصدرا لاله او ازعاجه ، حين يتكون هذا النمط من الاتصال بين الطفل والام ويتكرر تصبح الام ليست انسان خارجي فقط بل يدخلها الطفل كصورة يحملها في داخله ويلجأ إلى هذه الصورة بداخله في أي وقت يحتاج ذلك في غياب الام .

### قياس الاتصال العاطفي الآمن وغير الآمن عند الطفل

أجريت أبحاث عديدة من أجل قياس الاتصال العاطفي الآمن عند الطفل اعتمادا على ردود فعله وسلوكاته حيال غياب الام عن الطفل ورجوعها اليه . الطلائعية في هذه الأبحاث كانت ماري انيسويرث وفريق من الباحثين (Ainsworth et.al. (1973) قبل أن استعرض البحث الكلاسيكي الذي قامت به أود أن الفت الانتباه لظاهرة تعرفها الامهات العاملات اللواتي يعدن للعمل بعد ستة أشهر من الولادة ويضعن طفلهن في حضانه لبضع ساعات . هؤلاء الامهات يلاحظن أن الطفل يشكو عند مغادرة الام في الصباح ويحتاج الى القليل من الوقت حتى يهدأ ويتأقلم ويستمتع في اللعب مع المربية الحاضنة ومع الاطفال الآخرين . يبدو أن إحدى العوامل التي تساعده على التهذئة هي الصورة التي كان قد نجح في تكوينها بداخله بأن الام التي غادرت لا تزال موجودة بداخله وتهدهه وتطمئنه وبالذات إحساسه انها متواجدة وستعود لتمنحه الحضانة والامان .

يبدو أن الاطفال الذين لا يتأثرون بتاتا من غياب الام أي لا يحتاجون حين تسلمهم للحاضنة وتغادروهم في الفترة الاولى لأرسالهم الى الحضانه ، او انهم لا ينفعلون ويفرحون حين تعود لاستلامهم هم أطفال لم ينجحوا في تكوين الارتباط العاطفي الآمن مع الام .

الفئة الاخرى من الاطفال التي لم تطور علاقة عاطفية آمنة هم الاطفال الذين ينزعجون كثيرا لفراق الام ولا تستطيع الحاضنة تهدئتهم طوال فترة غياب الام .

في كلتا الحالتين حين يبدي الطفل لا مبالاة لحضور الام وغيابها وحين لا ينجح بتهذئة نفسه أثناء

غيابها، هناك إشارة لامكانية فشل بناء علاقة عاطفية آمنة (Secure Attachment) بين الطفل والوالد. أجرت أبحاثها لفحص مدى وجود ارتباط عاطفي آمن عند الاطفال من خلال مشاهدات دقيقة لعلاقة الام مع الطفل في جيل ما بين سنة وستين ونصف. أطلق على بحثها الكلاسيكي في هذه القضية اسم حالات الغريب (The strange situation). هذا الاسم مرتبط بمراحل التجربة التي قامت بها بمشاهدة ردود فعل الطفل لغياب الام. أدير البحث بالشكل التالي: دعت الباحثة امهات مع اطفالهن في جيل سنة حتى سنتين ونصف، ووضعت الطفل مع الام بمكان غريب مع العاب في الغرفة وبعد قليل دخل شخص غريب للغرفة ثم خرجت الام وتركت طفلها مع الشخص الغريب بعدها عادت الام ثم خرجت وبعدها خرج الشخص الغريب عاد الشخص الغريب فقط بعدها عادت الام. في كل من هذه المراحل تم تصوير ردود فعل الطفل. ما ذكرته اعلاه بالنسبة لردود فعل الطفل بالحضانة مستمد من نتائج بحث الغريب الذي أجرته اينسورث وفريقها. حيث أن الطفل الذي تمتع بعلاقة عاطفية آمنة هو الطفل الذي استطاع في مرحلة البحث الاولى الاستمتاع باللعب والاكتشاف اثناء وجود الام رغم أن المكان كان غير مألوف للطفل وانزعج قليلا حين دخول انسان غريب للغرفة لكن انزعج كثيرا وبكى حين خرجت الام وتركته مع الغريب ولم ينجح الغريب بمحاولاته تهدئة الطفل، وحين عادت الام استطاعت تهدئة طفلها بسرعة. وانزعج ثانية حين تركت الام وحين تركت الغريبة كذلك لم تنجح الغريبة بتهدئته حين عادت، لكن الام نجحت ثانية بتهدئته حين عادت مرة أخرى.

يلاحظ هنا امرين مهمين كاشارة للاتصال العاطفي الآمن او لاقدره الطفل على الاكتشاف والمتعة بالالعاب اثناء وجود الام في الغرفة رغم غرابة المكان. أي انها شكلت له مصدرا للامان لكي ينطلق ويكتشف ويلعب والامر الآخر هو انزعاجه حين غيابها لانه شعر بالخوف او بفقدان مصدر الامان، والامر الآخر الذي لا يقل أهمية هو نجاح الام بتهدئته خلال وقت قصير، أي انه غفر لها بسرعة، لكنه عبر عن حاجته العاطفية الماسة لحضنها.

في حالات الاتصال العاطفي غير الآمن فالاطفال الذين لم يتزعجوا لخروج الام ولم يفرحوا لعودتها أي ابدوا لامبالاة وبالنسبة لهم لم يشكل الغريب مصدر ازعاج لهم بل أحيانا لجأوا اليه كمصدر للامان فتوجهوا اليه وتركوا الام، على هذا الوضع أطلقت Ainsworth اسم "Insecure Avoident". الوضع الآخر الذي لوحظ فيه أن الطفل يفتقد الاتصال العاطفي الآمن تتميز بصعوبة الطفل بالانفصال عن امه واللعب والاستمتاع اثناء وجودها وحدها في الغرفة وبقي ملتصقا بحضنها وانزعج لغيابها بشكل لم تنجح بتهدئته بسهولة بعد عودتها وبقي غاضبا وخائفا لفترة متواصلة على هذا الوضع أطلق اسم "Insecure resistant".

في كلتا الحالتين تم تشخيص الطفل على أنه لم يستطيع بناء علاقة عاطفية آمنة مع الام. الحالات التي تصفها اينسورث في ابحاثها ليست غريبة عن مواقف كثيرة نشاهدها في أماكن عديدة بحياتنا اليومية. بالاضافة الى تجربة الحضانة التي وصفها اعلاه يمكن ملاحظة تصرفات الاطفال بين جيل سنة وثلاث سنوات في العيادات الصحية أو أماكن اخرى يجد الطفل نفسه فيها مع امه أو ابيه. اثناء انتظار الولد ووالده في غرفة الانتظار بالعيادة نجد الطفل يأخذ بعدا عن الوالد ويحاول الاكتشاف والتعرف

على المكان ويلعب أحيانا لكنه يعود بين الحين والآخر ليتأكد من وجود الوالد ويعود ثانية لجوله أخرى من الاكتشاف . بعمله هذا أكد الطفل على قدرته على الانفصال عن الوالد وابدئ ثقة بنفسه واحساسا بالامان وهي أحاسيس لها علاقة بآيمانه أن الوالد موجود في حالة واجه الطفل أي خطر او وضع احتاج به لمساعدة الوالد . هذا الايمان عند الطفل بالطبع مبني على تراكمات تجارب عديدة ومتكررة أثبت بها الوالد انه موجود من أجله وقت الحاجة . نرى أطفالا آخرين يلازمون الوالد ظيلة وقت الانتظار بالعيادة حتى لو طال وقت الانتظار حيث أن لا يوجد للطفل إحساس داخلي بالامان وأنه يخاف أن يصادمه الخطر ولا يجد من يساعده . هذا الاحساس مبني أيضا على تجارب سابقة أكدت له صحة هذا التصور . حالات اخرى نرى فيها الاطفال يتركون الوالد ويلجأون لغرباء ويرمون أنفسهم بحضنهم بحيث أنك تشعر وكأن لا يوجد عند الطفل أي إحساس بان الوالد والغريب هما شخصان مختلفان بالنسبة له .

### إنماط التواصل بين الاهل والطفل

لو تفحصنا الطرق التي نتصل من خلالها مع أطفالنا لوحدنا أن لكل طريقة مميزاتها . سوف أعرض هنا خمسة أنماط تواصل بين الاهل والطفل وأبين أبعاد كل نمط واثره على شخصية الطفل .

**الحب والعطاء :** الاتصال المميز بعطاء الحب للطفل يعد بالطبع أكثر طرق التواصل ايجابية بحيث نزود الطفل من خلاله بحاجته بالحب والحنان والعطف والامان . هناك طرق مختلفة لعطاء الحب وكما ذكرت سابقا فالحب المميز بالاتصال الجسدي ، الحضن والقبل المرفقة بالتعبير اللغوي هي أكثر الطرق فعالية في تعزيز روابط الحب بيننا وبين الطفل . هذه الطريقة تمنح الطفل الاحساس بانه محبوب وأنه إنسان جيد يمكن أن يجبه الغير مما يعزز إحساسه الايجابي إتجاه نفسه وشعوره بالثقة إتجاه العالم واتجاه الناس الآخرين . عندما يشعر الطفل من خلال تجارب متكررة أن الاب والام متواجدان من أجله وقت الضائقة ويزودانه باحساس الامان من خلال الحضن والتهدة الجسمية هذا يعزز عنده الاحساس أن العالم بامان و " الدنيا بخير " . هذا التوجه ينطبع في داخله ويصبح مميزا لتوجهه في الحياة على المستوى الشخصي والاجتماعي والمهني .

**العطاء المادي :** الوسيلة الاخرى لمنح شعور الحب هي الوسيلة المادية وتبدأ بالاعتناء بنظافة الطفل ولبسه واكله وصحته ، كذلك توفير الوسائل المادية التي تفرحه مثل الألعاب المناسبة لجيله أو شراء الحلويات اللذيذة التي يحبها ، عندما تشتري للطفل شيئا يجبه بالذات حين لا يكون متواجدا معك أثناء شرائه يشعر الطفل أنك تفهم رغباته وحاجاته وتعرف ما في داخله من أحاسيس الأمر الذي يعطيه الاحساس بالطمأنينة والقرب .

كلما زاد تكرار تجارب الحب التي يمر بها الطفل زاد إحساسه الايجابي إتجاه نفسه واتجاه الناس . مع ذلك أود التأكيد أن عطاء الحب العاطفي من خلال الاتصال الجسدي والتعبير اللفظي الواضح عن الحب مثل المادي الذي هو هام ايضا لكن لا يحمل نفس الاثر الايجابي الذي يحمله الحب العاطفي . أحيانا يغفل الاهل الفرق بين النمطين وبعضهم يعتقد انه ما دام يوفر للطفل حاجاته المادية فذلك تعبير كاف عن حبه له وان حاجة الطفل ملباه بهذا النوع من الحب .



أنماط التواصل التي سأعرضها فيما يلي تعد جميعها سلبية من ناحية وقعها واثرها على نفسية وشخصية الطفل . هذه الانماط لا تتساوى أيضا باثرها وسأبدأ بذات الاثر السلبي الاقل ومن ثم سأنتقل للنمط الاكثر سلبية .

**قلب الادوار:** برابي نمط التواصل المسمى " قلب أدوار " (Role Reversal) من الانماط الخفية التي نعملها دون انتباه أو وعي . أي نمارسها دون إدراك لما نعمل . بسبب دقة هذا النمط قد يصعب علي توضيحه وابرز أبعاده السلبية ولكنني سأحاول .

المقصود بقلب الادوار هو حين يضع الاب أو الأم الطفل مكان الوالد ويضعان نفسيهما في مكان الطفل . عندما يطلب الوالد من الطفل القيام بعمل ما من أجل الوالد بحيث يتناسب أكثر أن يقوم الوالد بذلك العمل من أجل الطفل وليس العكس . أمثلة عديدة لهذا النمط نجدها لو امعنا السمع والنظر في دقائق الطلب الذي يوجهه الوالد للطفل . فمثلا حين تقول الام ان رأسها يوجعها ولذلك تطلب بشكل دائم من الطفل السكوت او أن لا يتحرك ويلعب ؛ هناك مواقف أخرى يطلب فيها الوالد من الطفل أن يحبه بأي شكل من أشكال الحب . هذا النمط من العلاقة بين الاهل والطفل يأخذ صوراً مختلفة حسب جيل الطفل فاذا كان رضيعا يبدو عليه الغضب بانه يبكي او يطلب الحضن او الحليب وان كان في جيل سنة إلى سنتين . يبدو عليه الغضب حين بانه يتحرك ولا يوفر الهدوء لاهله وحين يكون في جيل ثلاث الى خمس سنوات يُطلب منه أن يكون أداة لتلبية طلبات الاهل وان يحافظ على النوم والهدوء ويقوم بواجبات أكبر من جيله وحين تبدأ المدرسة الابتدائية مطلوب منه أن يكون أشطر الطلاب يقوم بواجباته كما يرسم الاهل . وبعدها يصبح هو المسؤول عن رعاية أهله والاهتمام بصحتهم . هناك ظاهرة شائعة بعض الشيء فيها تصبح البنت البكر في البيت مسؤولة عن اخوتها الصغار فتصبح أما وهي لا تزال في جيل التاسعة أو العاشرة . تتميز هذه الامثلة ، بدرجات متفاوتة ، بان الطفل لا يأخذ حاجته الحقيقية من الاهل بما يتعلق بالرعاية والاهتمام والحب لكن مطالب بالعطاء الدائم حسب جيله بالطبع .

دعوني أعطي مثلا آخر قد يتنافى بشكل أوضح مع المؤلف . اذا كانت الام مريضة أو الاب بالطبع ، التوجه المتوقع اتجاه الاطفال هو طمأننتهم على أنها ستكون بخير وان لا يقلقوا وليس أن يصبحوا أمأ لها مسؤولين عن صحتها ، ومزاجها ، وحاجاتها . المسؤول عن هذه الامور هم أناس كبار آخرون مثل زوجها وأهلها والطبيب لكن ليس الاطفال . مثلا آخر حين يطلب من الطفل أن يتخذ قرارا في ظرف يجدر أن يصدر القرار من الاب أو الام . اذا قيل للطفل مثلا برأيك نشترى سيارة من أي موديل؟ أو ما رأيك لاي عيادة تفضل أن ننضم كأعضاء؟ وأسئلة عديدة أخرى لا تتناسب مع دور الطفل وتقلب من خلالها الادوار بحيث يصبح الابن أبا والاب ابنا .

ارجو أن يكون واضحاً هنا أنني لا اقصد أن الطفل مجرد من المسؤولية ، أو انه لا يمكن استشارته في أي ظرف . يجب أن نضع الطفل أمام مسؤولياته وحتى علينا ان نبدي حزماً واضحاً حين نطلب منه القيام بواجب معين ، بشرط أن يكون هذا الواجب في إطار مسؤولياته ويتناسب مع جيله وحاجته . مثلاً يجب أن نطلب من الطفل منذ جيل الثالثة وحتى قبل ذلك أن يكون مسؤولاً عن إعادة ترتيب العابه وابن الخامسة عن ترتيب فراشه وغرفته وابن السادسة القيام بواجباته المدرسية المطلوبة ؛ نطلب من كل طفل

منذ السنة الثانية لحياته أن لا يكسر وان لا يخرب وان لا يضرب غيره . مطالبنا من الطفل يجب أن تتناسب مع جيله ، وهي ضرورية لانماء شخصية مسؤوله ومنضبطة وهذه المطالب لا حصر لها ولن نستطيع تعدادها . مع ذلك الشرط المطلوب في هذا السياق هو أن لا تقلب الادوار بحيث يطلب الوالد من الطفل حاجة يكون من الاجدر أن يوفرها هو نفسه للطفل وليس العكس .

أود أن انوه أيضا الى أن كل واحد فينا وجد نفسه في موقف معين يقوم بهذا النوع من التوجه مع طفله أي أن الامر ليس غريبا عن اي منا . والحقيقة أنه ربما لا يكون هناك خطأ سلوكيا لم نرتكبه في موقف ما في حياتنا مع أطفالنا ، لذلك ما يحدد الابعاد والخطورة هو تكرار ذلك الخطأ ، وجعله غطا سلوكيا مألوفاً ومقبولاً ومتبعاً . حين يصبح الخطأ المحدد نمطا سلوكيا يميز طبيعة العلاقة بين الوالد والطفل يمكن القول أن في ذلك خطراً على صحة الطفل النفسية أو على مبنى شخصيته .

هناك عبارة مألوقة ، ربما تناقلتها الاجيال ، تشير الى نمط الاتصال المميز بقلب الادوار . يقول الشخص اريد ولذا يتفني او يساعدني او يكون لي سند أو اي عبارة اخرى بنفس الاتجاه . الحقيقة اننا نلد ابنا لرعاه ، ونحميه ، ونحبه ونعطيه فيكبر ويتزعم وربما اذا أتقنا العطاء سوف يكون لنا عوناً وسندا وان لم نتقن العطاء سيكون لنا مصدراً للعناء والهم الشديدين . انا لا أنفي أن يكون في عطاء الوالد للطفل متعة وبالعلاقة الوالد مع الرضيع متعة ووجود الطفل بالبيت مصدرًا للهناء والسعادة . في نفس الوقت هناك فرق دقيق لكن مهم أن يكون التوجه المسبق بان يكون الدافع لولادة الطفل واحضاره للحياة بان يساعد ويعطي أو أن سعادتنا مستمدة من منحه واعطائه التي يقدرها هو لمجرد ان يكون طفلاً سعيداً .

الاهل الذين توقعوا من الطفل العطاء واحضروا الطفل ليحقق لهم آمالا وطموحات بانفسهم هم الاهل الذين خاب املهم وانقلبت حياتهم مع طفلهم نعمة ربما مزوجة بقليل من النعمة . لاكون دقيقا وربما واقعا أود القول ان جميع الاهالي يتمنون أن لا يبخل عليهم اولادهم حين يحتاجون لهم بعجزهم ، وبضائقتهم او بشيخوختهم . هذا التمني حق من حقوق الاهل لكن الاحتمال أكبر ان تحقق هذه الاماني على خلفية حب الاهل وعطائهم لابنهم . عطاء الابن لاهله حين يكبر سوف تحدده طبيعة العطاء الذي تلقاه منهم في طفولته . كلما تميزت علاقتهم بالحب والارتباط العاطفي والعطاء ، زاد عطاؤه لهم حين يحتاجونه .

الضغط لزيادة التحصيل : من الطبيعي أن يكون للاهل طموحات يتوقعون أن يليها أبنائهم . لا أظن ان هناك والدا لم يرسم صورة لابنه بما يتعلق بشكله او شخصيته او تحصيله . اذا كان الامر كذلك فشرعي أن نرسم هذه الصورة لابنائنا في ذهننا لكن الخطورة هي نلغي المعطيات الواقعية التي يمتلكها الطفل لتعامل معه فقط بما يتناسب مع الصورة المثالية الموجودة في اذهاننا . التأقلم في الحياة يتطلب القدرة على التنازل وقبول ما هو أقل من المثالي والرضى بالجزء والتخلي عن الكمال هذا المبدأ صحيح بداية بقبول أنفسنا شكلا وقبول الحقيقة باننا لم نصل الى كل ما كنا نتمناه او نصبو اليه . الاهل الذين يبذلون جهداً نفسياً وعملياً كبيرين من أجل ان يصل الابن الى الصورة التي يرسمونها بمخيلاتهم هم عادة الاهل غير الراضين عن واقعهم او الذين حصلت بحياتهم هزة ما بين واقعهم وطموحهم . مثل أغلب الدوافع لسلوكياتنا هذا التوجه ايضا غالبا ما يعمله الاهل دون تخطيط مسبق دون وعي كامل

حيث ان كل ما يدركون هو انهم يريدون لابنهم الخير، ويعملون كل المستطاع من اجله. وهم بالطبع صادقون في قولهم، حيث ان لا من شك بالنوايا الحسنة للاهل، لكن النية لا تحكم النتيجة. فليس كل ما تم عمله بنية حسنة ادى الى نتائج حسنة.

عندما نحاول ملاءمة الطفل للصورة التي يطمح اليها يشعر الطفل باحباط. يرتبط احباط الطفل اولا باحساسه انه غير مفهوم، وانه غير مرضي عما يملك مثل شجرة التفاح التي يطلب منها ان تثمر موزاً. هذه الاحاسيس ترتبط عنده بشعور الفشل الدائم وانه مهما يعمل لن يستطيع الايفاء بالمطلوب. لو وضعنا انفسنا مكان الطفل في هذه الحالة لشعرنا بصعوبة هذه التجربة الشعورية.

### الاتصال العاطفي الآمن والصحة النفسية للاطفال

يؤكد بولبي ان الاتصال العاطفي الآمن في اوّل خمسة سنوات من حياة الطفل يشكل أساساً للصحة النفسية في مسار حياته. هذا لا يعني بالطبع أن الطفل لن يحتاج للعاطفة والحب بعد ذلك، الحقيقة أن حاجة الانسان بالعاطفة والحب والامان هي حاجة مستمرة لا تقطع، لكن بولبي يقصد ان الاساس يشكل في السنوات الاولى لحياة الانسان. الاتصال العاطفي الآمن يشكل في داخل الطفل جهازاً Mechanism يستعمله كل مرة يصطدم بمشكلة او بظرف ضاغط بحياته، هذا الجهاز يعطي الشخص الاحساس بان "الدنيا بخير" وان لديه القوة لمواجهة الظرف او المحنة. هناك شخص يشعر بالعجز وبنهاية المطاف امام كل مشكلة، وشخص آخر يرى أن أكثر المشاكل تعقيداً قابلة للحل ويملك القوة لمواجهةها والتغلب عليها. الفرق بين هؤلاء الشخصين يكمن بوجود قوة هذا الجهاز الذي يوفر الاحساس بالقوة والامان والذي تكون اساساً من خلال الحضانة الذي توفر للطفل في مراحل حياته الاولى. ذكرت الام وحضنها على أنها الشخص الاول في حياة الطفل الذي يوفر له الحب والامان لكن لا شك أن بالاضافة للام هناك الاب والجد والجددة والمعلم بالمدرسة، جميع هؤلاء يكملون المشوار الذي تبدأه الام او الحاضنة. لو استعدنا مراحل حياتنا المختلفة لوجد كل منا شخصيات أخرى من داخل العائلة او خارجها التي شكلت لنا مرفأً من الامان والحب. هؤلاء الاشخاص نتذكرهم ونستعيد تجاربنا معهم باحساس من المتعة والرضى. هذا الاحساس الذي منحونا اياه في صغرنا وشبابنا المبكر يرافقنا مدى الحياة ويستمر بتوفير الاحساس بالامان والاعتزاز.

تشير الابحاث وتؤيدها التجارب أن الطفل الذي أشبع بالحب والحنان هو الطفل الذي نراه واثقاً بنفسه، واثقاً بالناس، معتزلاً بما يملك، ويتعامل مع الامور بهدوء وطمأنينة ويستمتع بالاكشاف والتعلم، ويركز في كل مهمة يتناولها ويهتم باتمامها بنجاح. هؤلاء الاطفال هم المحبوبون على اصدقائهم، لان بقدرتهم منح الامان للاطفال الذين يتعاملون معهم. وبالوجه المعاكس نجد أن الطفل غير الآمن في كاخله هو الطفل الذي يبث عدم الامان لمن حوله من اشخاص صغاراً وكباراً. الطفل غير الآمن هو من يعتدي على غيره، ويشعر بالقلق، وعدم التركيز. هو الطفل الذي يجد نفسه وحيداً يخافه من حوله من الاطفال ويتجنبون التعامل معه.

وبدلين سرورف في أبحاثه ان الاطفال الذين حصلوا على الاتصال العاطفي الآمن هم الذين نجحوا في دراستهم وفي حياتهم الاجتماعية بداية بالحضانة وانتهاءً بالمدرسة الثانوية وما بعد ذلك . الكثير من المربين يتعاملون مع الاطفال من باب الثواب والعقاب الميكانيكي ، والذي تؤيده بعض النظريات في علم النفس . هذا النوع من التعامل أن افتقد الحب والحنان الصادق ، يصبح علاقة ميكانيكية . العديد من الاطفال يرون بالتجربة مع أهاليهم بحيث يقول الاهل نعطيك الملابس ، والاكل ، والكتب ، والمصروف أي نلبي كل حاجياتك مقابل أن تعطينا النجاح بالدراسة ، والتي تتجسد بالعلامات . حسب هذا النهج تصبح العلاقة شبه تجارية ، تخلو من العاطفة وحب الطفل من أجل القرب وليس لمصلحة غالباً ما ينسبها الاهل بأنها مصلحة الطفل . بهذا التوجه يشعر الطفل أن علامات المدرسة أهم منه وانه يقدر وقيمته تحسب بارتفاع العلامات . لا أظن ان هناك قسوة أشد من ان نحرم أطفالنا حبنا ونحرم أنفسنا حبهم فقط من دافع صراع التحصيل المدرسي . الغريب بالامر ان هناك اثباتات على أن الاتصال العاطفي الآمن هو الذي يؤكد نجاح الطفل أكثر من أي عامل آخر .

قد يقول بعض المربين واين الحدود التي يجب ان نضعها للطفل من أجل تقويم سلوكه؟ هذا تساؤل منطقي فالحدود ضرورية لا من شك ، السلطة هي ملك المربي (الاهل والمعلمين) وليست ملك الطفل في نهاية الامر ، يجب أن نأخذ المسؤولية كمربين على المواقف المختلفة واضعين الحدود من دافع المسؤولية ، وحماية الطفل . في الظروف التي لا نأخذ هذه المسؤولية يشعر الطفل بعدم الامان ، اذكر حدثنا حصل مؤخراً حين كانت ابنتي في الرابعة من عمرها والحت أن اسمح لها أن تفقس البيض في المقل ، وكان ساخننا ، أعطيتها هذه الفرصة من دافع منحها الاحساس بانها قادرة ، لكن ما حصل أن لمس اصبعها المقل الساخن فصاحت متوجعة وانهاالت علي بالكلام انني السبب فيما حصل لانني سمحت لها ولم احذرهما كفاية . قلت لها انها صادقة ، وانني اخطأت في ان وضعتها في خطر من الواجب أن أحميها منه ، بالذات وان هذه التجربة تتناسب مع جيل أكبر من جيلها . حضنتها وتأسفت لها .

هذا مثال للحدود التي يجب أن نتمسك بها ، لانها حامية وواقية للطفل وهو بحاجة لها . أريد أن ابه مع ذلك بان الحدود الثابتة هي التي ندخلها للطفل بالحب وليس بالشدة والقسوة ، قد يبدو أن في قولي هذا تناقضا ، الحقيقة اننا نعرف من خلال تجربتنا نحن في حياتنا ، أن من تبيننا وادخلنا قيمة هو الشخص الذي أحبنا وليس الشخص الذي قسى علينا ، التضامن والتوحد النفسي لا يتم بالاكره والعنف والقسوة والاهانة بل يتم بالقرب والحب والتقدير والانسجام .

ذكرت المربين لاضم مع الاهل الحاضنات والمعلمين لانه يسري عليهم نفس المبدأ . المعلم الناجح هو ليس من يعرف المادة التي يدرسها حتى ولا من يملك الاساليب التقنية في نقلها الى الطلاب ، بل هو المعلم الذي بالاضافة الى معرفة يملك الصدر والقلب الواسعين ليحب . الحب يعني القدرة على أن تكون متواجداً للطفل حين يحتاج دعمك ، وان تكون قادراً على تهدئته بوقت الازمة والقلق . الحب يعني أن تستطيع توفير الامان للطفل ، وتستطيع الحفاظ على قيمته واحترامه كإنسان . إن فقد الحب بين المربي والطفل كل البنائات التي نبنيها تظل متعلقة بالهواء لا أساس يرعاه ولا قاعدة تحميها .

## References

- Burlingham, D., & Freud, A. (1944). **Infants without families**. London: Allen + Unwin.
- Harlow, H.F. (1958). **The nature of love**. American psychologist 13, 673.
- Harlow, H.F. (1962). **The development of affectional patterns in infant monkeys**. In B.M. Foss (Ed.), *Determinants of infant behavior* (Vol. 2, pp.75-88). New York: Wiley.
- Ainsworth, M.D.S., Behar, M., Waters, E., & Wall, S. (1978). **Patterns of attachment: a psychological study of the strange situation**. Hillsdale, NJ: Erlbaum.